إعمال اللالباب

في تفسير

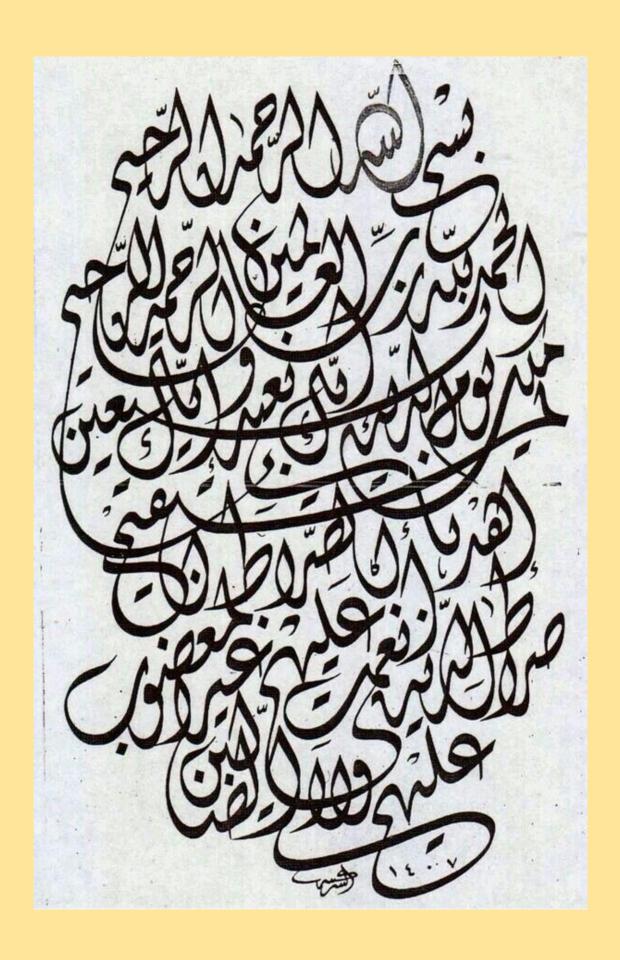


تأليف

د . محمد بن سرنرق بن طرهوني

21212

هذا الكتاب عبارة عن المحاضرة الرابعة والخامسة من المحاضرات التي سجلها الدكتور محمد طرهوني للدكتور محمد طرهوني لطلاب جامعة المدينة العالمية بكلية القرآن الكريم عام ٢٢٦ه



المحاضرة الرابعة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

أما بعد

فالتفسير يأتي على ضروب فمنه تفسير المفردات وهو غالب ما يروى عن الصحابة والتابعين في التفسير ومنه التفسير الإجمالي وهو عرض للمعنى الإجمالي الذي تضمنته الآيات وهي طريقة كثير من المفسرين كما يلاحظ في تفسير الطبري قبل أن يسوق الروايات أو بعدها وهو موجود أيضا في تفسير ابن كثير كما سيأتي معنا .

وهناك التفسير التحليلي وهو مبني على تحليل الآية من حيث تركيبها اللغوي ومعاني مفرداتها وما يستنبط منها من أحكام وهو موجود لدى كثير من المفسرين ويعد الطبري في أوائل من سلك هذا المسلك التفسيري .

وهناك التفسير الموضوعي وهو جمع الآيات المتعلقة بموضوع معين كالجهاد مثلا والربط بينها وبيان ما يستفاد منها وهو نوع من التصنيف لا يذكر كثيرا ضمن كتب التفسير لأنه لا يستوعب آيات القرآن الكريم بل هو أقرب إلى التصنيفات المستقلة .

والذي نسلكه غالبا في دراستنا هو التفسير التحليلي ويندرج فيه الإجمالي وشرح المفردات.

العنصر الأول:

الكلام على تفسير الاستعاذة

[قال الله تعالى: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم ﴾ [الأعراف ٢٠٠، ١٩٩١]

ففي هذه الآية يأمر الله بمصانعة العدو الإنسي والإحسان إليه ليرده (عنه) طبعه الطيب الأصل إلى الموادة والمصافاة ، ويأمر بالاستعاذة به من العدو الشيطاني لا محالة إذ لا يقبل مصانعة ولا إحسانا ولا يبتغي غير هلاك ابن آدم لشدة العداوة بينه وبين أبيه آدم من قبل كما قال تعالى : ﴿ يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ﴾ [الأعراف

٢٧] وقال تعالى : ﴿إِن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾ [فاطر ٦]

وقال الله تعالى : ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربحم يتوكلون ﴾ [النحل ٩٨،٩٩]

والاستعاذة هي الالتجاء إلى الله تعالى والالتصاق بجانبه من شر كل ذي شر والعياذة تكون لدفع الشر واللياذ لطلب جلب الخير كما قال المتنبى:

يا من ألوذ به فيما أؤمله ومن أعوذ به ممن أحاذره

لا يجبر الناس عظما أنت كاسره ولا يهيضون عظما أنت جابره)

ولفظ الاستعادة يأتي الحديث عنه في مسائل الآية ومن ذلك أن تقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

ومعنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: أي أستجير بجناب الله من الشيطان أن يضربي في ديني أو دنياي أو يصدين عن فعل ما أمرت به أو يحثني على فعل ما نهيت عنه. فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله.

والشيطان في لغة العرب مشتق من شطن: إذا بعد ، فهو بعيد بطبعه عن طباع البشر وبعيد بفسقه عن كل خير ، وقيل : مشتق من شاط ؛ لأنه مخلوق من نار، ومنهم من يقول : كلاهما صحيح في المعنى ، ولكن الأول أصح ، وعليه يدل كلام العرب .

(وقال سيبويه : العرب تقول : تشيطن فلان إذا فعل فعل الشياطين ولو كان من شاط لقالوا : تشيط) فالشيطان : مشتق من البعد على الصحيح . ولهذا يسمون كل ما تمرد من جني وإنسي وحيوان شيطانا . قال الله تعالى : ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ﴾ [الأنعام ١١٢]

عن أبي ذر قال : قال رسول الله على : يا أبا ذر ، تعوذ بالله من شياطين الإنس والجن . فقلت : أو للإنس شياطين ؟ قال : نعم .

رواه أحمد ضمن حديث طويل وقد أخرجه الحاكم وغيره وصححه وسكت الذهبي وإسناده فيه مقال من عدة جهات إلا أن له طرقا وشواهد تكفي في تحسين الجزء المذكور من الحديث ومنه الآية نفسها .

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر أيضا قال: قال رسول الله على : " يقطع الصلاة المرأة والحمار والكلب الأسود ". فقلت: يا رسول الله ما بال الكلب الأسود من الأحمر من الأصفر؟ فقال: " الكلب الأسود شيطان ".

والرجيم: فعيل بمعنى مفعول أي أنه مرجوم مطرود عن الخير كله كما قال (الله) تعالى: ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ﴾ [الملك ٥] وقال تعالى: ﴿ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين ﴾ [الحجر ١٦-١٨] إلى غير ذلك من الآيات.

(وقيل: رجيم بمعنى راجم لأنه يرجم الناس بالوساوس والربائث...)

والربائث جمع ربيثة وهي : الحاجات التي تحبسهم عن الخير .

ومما يذكر في فضل الاستعاذة ما رواه البخاري وغيره عن سليمان بن صُرَد قال: استب رجلان عند النبي في ونحن عنده جلوس فأحدهما يسب صاحبه مغضبا قد احمر وجهه. فقال النبي في : إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجده ؛ لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فقالوا للرجل: ألا تسمع ما يقول رسول الله في ؟ . قال: إني لست بمجنون.

العنصر الثاني: الكلام عن البسملة:

روى الإمام أحمد عن أبي تميمة عن رديف النبي على قال : عثر بالنبي الشراه) ، فقلت : تعس الشيطان ، فقال النبي على : " لا تقل تعس الشيطان ؛ فإنك إذا قلت : تعس الشيطان، تعاظم وقال : بقوتي صرعته . وإذا قلت : بسم الله ، تصاغر حتى يصير مثل الذباب ". قال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح وصححه الشيخ الألباني رحمه الله .

وتعس: بكسر العين وفتحها أي كب لوجهه أو هلك ويبدو أنه كان من عادتهم إذا عثر أحدهم دعا بذلك على من يكره كما في حديث الإفك ؟ كما في حديث الإفك تعس مسطح.

فهذا من تأثير بركة بسم الله ، ولهذا تستحب في أول كل عمل وقول كما ياتي تفصيل ذلك في المسائل إن شاء الله تعالى .

وللنحاة قولان في تقدير المتعلق بالباء في قولك : بسم الله ؛ هل هو اسم أو فعل ؟ وهما متقاربان ، وكل قد ورد به القرآن .

فأما من قدره باسم تقديره: بسم الله ابتدائي ، فلقوله تعالى: ﴿ وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها إن ربي لغفور رحيم ﴾ [هود ٤١] ، ومن قدره بالفعل (أمرا أو خبرا نحو: ابدأ بسم الله ، أو ابتدأت بسم الله) ، فلقوله: ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ وكلاهما صحيح ؛ فإن الفعل لابد له من مصدر ، فلك أن تقدر الفعل ومصدره ، وذلك بحسب الفعل الذي سميت قبله إن كان قياما أو قعودا أو أكلا أو شربا أو قراءة أو وضوءا أو صلاة ؛ فالمشروع ذكر اسم الله في الشروع في ذلك كله ، تبركا وتيمنا واستعانة على الإتمام والتقبل والله أعلم .

وأما مسألة الاسم هل هو المسمى أو غيره ؛ ففيها للناس ثلاثة أقوال ، وهي مسألة من مسائل مايسمى بعلم الكلام وهو علم محدث أدى بأصحابه إلى زلات كثيرة وليت الحافظ لم يذكر هذه المسألة هنا أصلاً ، ويكفي قوله بعد أن أشار إليها : فثبت أن الخوض في هذا البحث على جميع التقديرات يجري مجرى العبث " .

الله: علم على الرب تبارك وتعالى . يقال : إنه الاسم الأعظم لأنه يوصف بجميع الصفات . كما قال تعالى : ﴿ هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ [الحشر ٢٢،٢٤] فأجرى الأسماء الباقية كلها صفات له وفي الصحيحين : عن أبي هريرة أن رسول الله في قال : " إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا ، من أحصاها دخل الجنة". وجاء تعدادها في رواية الترمذي ، (وابن ماجه، وفي الروايتين اختلاف وزيادة ونقصان . وقد ذكر الرازي في تفسيره عن بعضهم أن لله خمسة الاف اسم ، ألف في الكتاب والسنة الصحيحة ، وألف في التوراة ، وألف في الإنجيل ، وألف في الزبور، وألف في اللوح المحفوظ)

وهذا من خرافات تفسير الرازي وتوسعاته غير المرضية التي لا أزمة لها ولا تثبت لا عقلا ولا نقلا .

وهو اسم لم يسم به غيره تبارك وتعالى ، ولهذا لا يعرف في كلام العرب (له) اشتقاق من فعل ويفعل ، فذهب من ذهب من النحاة ، إلى أنه اسم جامد لا اشتقاق له ، (وقد نقل القرطبي عن جماعة من العلماء منهم الشافعي والخطابي وإمام الحرمين والغزالي وغيرهم وروي عن الخليل وسيبويه أن الألف واللام فيه لازمة . قال الخطابي: ألا ترى أنك تقول : يا الله ، ولا تقول : يا الرحمن ، فلولا أنه من أصل الكلمة لما جاز إدخال حرف النداء على الألف واللام) .

وقيل: إنه مشتق واستدلوا عليه بقول رؤبة بن العجاج:

لله دَرُّ الغانيات المِدَّهِ سبحن واسترجعن من تألهي

والمده : المدح ، الماده المادح والجمع المده . والغانية الجارية التي غنيت بزوجها .

فقد صرح الشاعر بلفظ المصدر وهو: التأله ، من أله يأله إلاهة و تألها . كما روي أن ابن عباس قرأ: ويذرك وإلاهتك . قال: عبادتك أي أنه كان يُعبد ولا يَعبد .

وهي قراءة شاذة .

وأصل ذلك الإله ؛ فحذفت الهمزة التي هي فاء الكلمة ، فالتقت اللام التي عينها ، مع اللام الزائدة في أولها للتعريف ، فأدغمت إحداهما في الأخرى ، فصارتا في اللفظ لاما واحدة مشددة ، وفخمت تعظيما فقيل: الله .

والقول بعدم اشتقاقه أصح والمشتق المذكور هو لفظ الإله وليس لفظ الله ، ومن الأدلة على عدم اشتقاقه أنه لا يثني ولا يجمع .

الرحمن الرحيم: اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة ، ورحمن أشد مبالغة من رحيم ، وفي كلام ابن جرير ما يفهم منه حكاية الاتفاق على هذا .

وقال القرطبي: والدليل على أنه مشتق ما أخرجه الترمذي ، وصححه عن عبد الرحمن بن عوف أنه سمع رسول الله على : قال الله تعالى : " أنا الله وأنا الرحمن ، خلقت الرحم ، وشققت لها (اسما) من اسمى ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته".

قال : وهذا أظهر في الاشتقاق فلا معنى للمخالفة والشقاق .

قلت : الدليل المذكور يدل على أنه مشتق منه لا مشتق ولا يمنع أن يكون الرحم والرحمة وتصريف ذلك كله مشتق من اسم الله الرحمن .

قال القرطبي: ثم قيل: هما بمعنى ، كندمان ونديم . قاله أبو عبيدة . وقيل: ليس بناء فعلان كفعيل ؛ فإن فعلان لا يقع إلا على مبالغة الفعل ، نحو قولك: رجل غضبان . للرجل الممتلئ غضبا . وفعيل قد يكون بمعنى الفاعل والمفعول . قال أبو علي الفارسي: الرحمن اسم عام في جميع أنواع الرحمة ، يختص به الله تعالى ، والرحيم إنما هو من جهة المؤمنين قال الله تعالى : ﴿ وكان بالمؤمنين رحيما ﴾ [الأحزاب: ٣٤]

وقال ابن المبارك : الرحمن إذا سئل أعطى ، والرحيم إذا لم يُسأل يغضب .

(واسمه تعالى الرحمن خاص به لم يسم به غيره كما قال تعالى : ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ [الإسراء ١١٠] وقال تعالى : ﴿ واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ﴾ ولما تجهرم مسيلمة الكذاب وتسمى برحمن اليمامة كساه الله جلباب الكذب ، وشهر به ، فلا يقال إلا : مسيلمة الكذاب ، فصار يضرب به المثل في الكذب بين أهل الحضر ، من أهل المدر ، وأهل الوبر من أهل البادية والأعراب) .

قلت : جهرم : بلدة بفارس ولم أقف على شرح لمعناها وكأنه يراد بها تزندق كأنه اتبع دين فارس وقد ذكرها الحافظ الذهبي في المغني في الضعفاء في ترجمة على بن عبد الملك الطرسوسي فقال : قال الحاكم : كان معتزليا متهاونا بالرواية تجهرم حتى هجر .ا.ه .

وقد زعم بعضهم أن الرحيم أشد مبالغة من الرحمن لأنه أُكد به ، والتأكيد لا يكون إلا أقوى من المؤكد ، والجواب : أن هذا ليس من باب التأكيد ، وإنما هو من باب النعت (بعد النعت) ، ولا يلزم فيه ما ذكروه .

كما زعم بعضهم أن العرب لا تعرف الرحمن حتى رد الله عليهم ذلك بقوله: ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ [الإسراء ١١٠] ولهذا قال كفار قريش يوم الحديبية _ لما قال رسول الله ﷺ: لعلي اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم _ فقالوا: لا نعرف الرحمن ولا الرحيم . رواه البخاري . وفي بعض الروايات لا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة .

قلت: هذا اللفظ لم أجده إلا في طبقات ابن سعد عن ابن عباس في قصة أخرى وهي إرسال قريش النضر وعقبة لسؤال اليهود عنه في وفيه " يزعم أنه رسول الرحمن ولا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة. وفيه الكلبي وهو متروك.

وقال تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا ﴾ [الفرقان ٦٠] والظاهر أن إنكارهم هذا إنما هو جحود ، وعناد ، وتعنت في كفرهم . وإنه قد وجد في أشعار الجاهلية تسمية الله تعالى بالرحمن . قال ابن جرير : وقد أنشد لبعض الجاهلية الجهال

ألا ضربت تلك الفتاة هجينها ألا قضب الرحمن ربي يمينها

الهجين هنا : يعني الزوج . وقضب : أي قطع .

و عن الحسن قال : الرحمن اسم لا يستطيع الناس أن ينتحلوه (تسمى به تبارك وتعالى).

العنصر الثالث:

الحمد لله رب العالمين

القراء السبعة على ضم الدال من قوله: ﴿ الحمد لله ﴾ وهو مبتدأ وخبر.

ورويت فيه قراءات أخرى : الحمد لله بالنصب . وهو على إضمار فعل .

، الحمدُ لله بضم الدال واللام إتباعا للثاني الأول وله شواهد .

، الحمدِ لله بكسر الدال إتباعا للأول الثاني . وكلها شواذ لا يقرأ بما .

قال أبو جعفر بن جرير: معنى ﴿ الحمد لله ﴾ الشكر لله خالصا ، دون سائر ما يعبد من دونه ، ودون كل ما برأ من خلقه ، بما أنعم على عباده من النعم ، التي لا يحصيها العدد ، ولا يحيط بعددها غيره أحد ، في تصحيح الآلات في طاعته ، وتمكين جوارح أجسام المكلفين لأداء فرائضه ، مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق ، وغذاهم به من نعيم العيش ، من غير استحقاق منهم ذلك عليه ، ومع ما نبههم عليه ، ودعاهم إليه من الأسباب المؤدية إلى دوام الخلود ، في دار المقام في النعيم المقيم ، فلربنا الحمد على ذلك كله أولا وآخرا. ﴿ وقال ابن جرير: الحمد لله ثناء أثنى به على نفسه ، وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه ؟ فكأنه قال : قولوا الحمد لله) .

قال : وقد قيل : إن قول القائل : (الحمد لله) ثناء عليه بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى . وقوله : الشكر لله ثناء عليه بنعمه وأياديه . ثم شرع في رد ذلك بما حاصله أن جميع أهل المعرفة بلسان العرب ، يوقعون كلا من الحمد والشكر مكان الآخر .

وقد اشتهر عند كثير من العلماء من المتأخرين ، أن الحمد هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية ، ويكون بالجنان واللسان والأركان .

ولكنهم اختلفوا ، أيها أعم ، الحمد أو الشكر ؟ على قولين . والتحقيق أن بينهما عموما وخصوصا ؛ فالحمد أعم من الشكر ، من حيث ما يقعان عليه ، لأنه يكون على الصفات اللازمة والمتعدية ، تقول : حمدته لفروسيته وحمدته لكرمه ، وهو أخص لأنه لا يكون إلا بالقول . والشكر أعم من حيث ما يقعان به ؛ لأنه يكون بالقول والفعل والنية كما تقدم . وهو أخص لأنه لا يكون إلا على الصفات المتعدية ، لا يقال : شكرته لفروسيته ، وتقول : شكرته على كرمه وإحسانه إلى . هذا حاصل ما حرره بعض المتأخرين والله أعلم .

وقد ورد في فضل الحمد أحاديث كثيرة ومن ذلك مارواه أحمد وغيره عن الأسود بن سريع قال: قلت : يا رسول ، ألا أنشدك محامد حمدت بما ربي تبارك وتعالى ؟ فقال: أما إن ربك يحب الحمد .

وهو حديث حسن وقد صححه أحمد شاكر وحسنه الألباني .

وحكى القرطبي عن طائفة أنهم قالوا: قول العبد: الحمد لله رب العالمين ، أفضل من قوله: لاإله إلا الله ؛ لاشتمال الحمد لله رب العالمين على التوحيد مع الحمد .

وقال آخرون: بل لاإله إلا الله أفضل ، لأنها الفصل بين الإيمان والكفر ، وعليها يقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله ، كما ثبت في الحديث المتفق عليه . وفي الحديث الآخر في السنن: " أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له" . وهو حديث حسن له طرق .

والألف واللام في ﴿الحمد﴾ لاستغراق جميع أجناس الحمد ، وصنوفه ، لله تعالى . كما جاء في الحديث : " اللهم لك الحمد كله ، ولك الملك كله ، وبيدك الخير كله ، وإليك يرجع الأمر كله ".

والرب هو: المالك المتصرف . ويطلق في اللغة على السيد ، وعلى المتصرف للإصلاح . وكل ذلك صحيح في حق الله تعالى ، (ولا يستعمل الرب لغير الله إلا بالإضافة تقول : رب الدار ، ورب كذا . وأما الرب فلا تقال إلا لله عز وجل .

والعالمين : جمع عالم ، (وهو كل موجود سوى الله عز وجل)

والعالم: جمع لا واحد له من لفظه . والعوالم: أصناف المخلوقات في السموات وفي البر والبحر ، وكل قرن منها وجيل يسمى عالما أيضا .

وفي رواية سعيد بن جبير وعكرمة ، عن ابن عباس : رب الجن والإنس .

وكذلك قال غير واحد من السلف.

واستدل القرطبي لهذا القول بقوله تعالى : ﴿ ليكون للعالمين نذيرا ﴾ [الفرقان ١] وهم الجن والملائكة والإنس . وقال الفراء وأبو عبيدة : العالم عبارة عما يعقل ، وهم الإنس والجن والملائكة والشياطين ، ولا يقال للبهائم : عالم .

وقوله : ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ سبق الكلام عليه في البسملة .

(قال القرطبي: وإنما وصف نفسه بالرحمن الرحيم، بعد قوله: ﴿ رَبِ العالمين ﴾ ليكون من باب قرن الترغيب بعد الترهيب ، كما قال : ﴿ نبئ عبادي أي أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم ﴾ وقوله: ﴿ إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم ﴾ قال : فالرب فيه ترهيب ، والرحمن فيه ترغيب . وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله الله الله الله الله عند الله من العقوبة ، لما طمع في جنته أحد . ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ، لما قنط من جنته أحد ".

المبحث الرابع:

مالك يوم الدين

قرأ بعض القراء: ﴿ مالك ﴾ وقرأ آخرون : ﴿ ملك ﴾ ، وكلاهما صحيح متواتر في السبعة . وقرئ أيضا : ملك _ بإسكان اللام ، على وزن سهل . ومليك على وزن فعيل ، وملكي بإشباع الكسرة . وحكمعن أبي حنيفة أنه قرأ : مَلَكَ يومَ الدين ، على أنه فعل وفاعل ومفعول . وكلها شواذ لا يقرأ بها .

وقد رجح كلا من القراءتين المتواترتين مرجحون من حيث المعنى ، وكلاهما صحيحة حسنة . ورجح الزمخشري (ملك) لأنها قراءة الحرمين ، ولقوله : ﴿ لَمْنَ الْمَلْكُ اليَّومِ ﴾ و ﴿ قوله الحق وله الملك ﴾ .

وقد روى أبو بكر بن أبي داود في ذلك شيئا غريبا عن ابن شهاب أنه بلغه أن رسول الله الله وأبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية وابنه يزيد بن معاوية كانوا يقرؤون : ﴿ مالك يوم الدين ﴾. قال ابن شهاب : وأول من أحدث ﴿ ملك ﴾ مروان .

قال ابن كثير : مروان عنده علم بصحة ما قرأه لم يطلع عليه ابن شهاب ، والله أعلم .

قلت : الأثر في إسناده عدي بن الفضل قال الذهبي : تركوه وهو أيضا مرسل لا يصح .

وتخصيص الملك بيوم الدين لا ينفيه عما عداه ؛ لأنه قد تقدم الإخبار بأنه رب العالمين ، وذلك عام في الدنيا والآخرة . وإنما أضيف إلى يوم الدين لأنه لا يدعي أحد هنالك شيئا ، ولا يتكلم أحد إلا بإذنه ، كما قال تعالى : ﴿ يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد ﴾ [هود ١٠٥] .

(والملك في الحقيقة هو الله عز وجل . قال الله : ﴿ هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام ﴾ وفي الصحيحين : عن أبي هريرة مرفوعا : " أخنع اسم عند الله ؟ رجل تسمى بملك الأملاك ، ولا ملك إلا الله " . وفيهما عنه عن رسول الله في قال : " يقبض الله الأرض ، ويطوي السماء بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك ، أين ملوك الأرض ؟ أين الجبارون ؟ أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ". وفي القرآن العظيم ﴿ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ﴾ . فأما تسمية غيره في الدنيا بملك ، فعلى سبيل الجباز ، كما قال تعالى: ﴿ إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا ﴾ ﴿ وكان وراءهم ملك ﴾ ﴿ إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا ﴾ وفي الصحيحين : "مثل الملوك على الأسرة" .

والدين : الجزاء والحساب كما قال : ﴿ يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ﴾ وقال : ﴿ أَئنا للدينون ﴾ أي: لمجزيون . أي : محاسبون . وفي الحديث الذي حسنه الترمذي وفيه ضعف : " الكيس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت " . أي حاسب نفسه لنفسه ، وكما قال عمر : حاسبوا أنفسكم قبل أن توزنوا ، وتزينوا للعرض الأكبر ، على من لا تخفى عليه أعمالكم ﴿ يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافيه ﴾) .

المبحث الخامس: إياك نعبد وإياك نستعين

القراءة المتواترة المتفق عليها بتشديد الياء من ﴿إياك﴾ ، وقرأ عمرو بن فايد بتخفيفها مع الكسر، وهي قراءة شاذة مرذولة ، لأن إيا ضوء الشمس . وقرأ بعضهم : أياك بفتح الهمزة وتشديد الياء . وقرأ بعضهم : هياك بالهاء بدل الهمزة ، وكلها شواذ .

ونستعين : بفتح النون أول الكلمة في قراءة الجميع ، سوى يحيى بن وثاب والأعمش فإنهما كسراها وهي لغة بني أسد وربيعة وبني تميم .

والعبادة في اللغة من الذلة . يقال : طريق معبد ، وبعير معبد ، أي : مذلل . وفي الشرع : عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف .

وقدم المفعول _ وهو إياك _ وكرر ، للاهتمام والحصر ، أي : لا نعبد إلا إياك ، ولا نتوكل الا عليك . وهذا هو كمال الطاعة . والدين يرجع كله إلى هذين المعنيين . وهذا كما قال بعض السلف : الفاتحة سر القرآن . وسرها هذه الكلمة ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ ؛ فالأول : تبري من الشرك . والثاني : تبري من الحول والقوة ، والتفويض إلى الله عز وجل . وهذا المعنى في غير آية من القرآن كما قال تعالى : ﴿ فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون ﴾ [هود ١٢٣] ، ﴿ قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا ﴾ [الملك ٢٩] ، ﴿ رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا ﴾ [المزمل ٩] وكذلك هذه الآية الكريمة ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ .

وتحول الكلام من الغيبة إلى المواجهة بكاف الخطاب وهو مناسبه ؛ لأنه لما أثنى على الله فكأنه اقترب وحضر بين يدي الله تعالى ؛ فلهذا قال : ﴿ إِياكُ نعبد وإياكُ نستعين ﴾ . وفي هذا دليل على أن أول السورة خبر من الله تعالى بالثناء على نفسه الكريمة ، بجميل صفاته الحسنى ، وإرشاد لعباده بأن يثنوا عليه بذلك .

وإنما قدم ﴿إياك نعبد﴾ على ﴿وإياك نستعين﴾ لأن العبادة له هي المقصودة ، والاستعانة وسيلة إليها ، والاهتمام والحزم هو أن يقدم ما هو الأهم فالأهم ، والله أعلم .

فإن قيل : ما معنى النون في قوله : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ ؟ فإن كانت للجمع ؛ فالداعي واحد ، وإن كانت للتعظيم ؛ فلا يناسب هذا المقام . وقد أجيب : بأن المراد من ذلك الإخبار عن جنس العباد ، والمصلي فرد منهم ، ولاسيما إن كان في جماعة أو إمامهم ،

فأخبر عن نفسه وعن إخوانه المؤمنين ، بالعبادة التي خلقوا من أجلها ، وتوسط لهم بخير . ومنهم من قال : ﴿ إِياكُ نعبد ﴾ ألطف في التواضع من إياك أعبد ، لما في الثاني من تعظيم نفسه ، من جعله نفسه وحده أهلا لعبادة الله تعالى ، الذي لا يستطيع أحد أن يعبده حق عبادته ، ولا يثنى عليه كما يليق به .

والعبادة مقام عظيم ، يشرف به العبد لانتسابه إلى جناب الله تعالى ، وقد سمى الله رسوله عبده في أشرف مقاماته فقال : ﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ﴾ [الكهف]] ، ﴿ وأنه لما قام عبد الله يدعوه ﴾ [الجن ١٩] ، ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ﴾ [الإسراء ١] فسماه عبدا عند إنزاله عليه ، وعند قيامه في الدعوة ، وإسرائه به .

المبحث السادس:

اهدنا الصراط المستقيم

قراءة الجمهور بالصاد وقرئ السراط بالسين ، وقرئ بالزاي . قال الفراء : وهي لغة بني عدي، وبني كلب .

قلت: ليس بالزاي الخالصة كما رواه بعضهم خطأ وإنما بالصاد المشوبة بالزاي ويسمى الإشمام وتنطق مثل الظاء عند عوام مصر هكذا:، وهي قراءة حمزة على تفصيل في الروايتين عنه. وهذه القراءات المذكورة متواترة.

وطلب العبد هنا ذلك أنه لما تقدم الثناء على المسؤول تبارك وتعالى ، ناسب أن يعقب بالسؤال ، كما قال : فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل ، وهذا أكمل أحوال السائل أن يمدح مسؤوله ، ثم يسأل حاجته (وحاجة إخوته المؤمنين) بقوله : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ لأنه أنجح للحاجة وأنجع للإجابة ، ولهذا أرشد الله تعالى إليه لأنه الأكمل .

والهداية ههنا: الإرشاد والتوفيق ، وقد تعدى الهداية بنفسها كما هنا (اهدنا الصراط المستقيم) فتضمن معنى: ألهمنا ، أو وفقنا ، أو ارزقنا ، أو أعطنا . ((وهديناه النجدين) المستقيم) فتضمن معنى : ألهمنا ، أو وفقنا ، أو ارزقنا ، أو أعطنا . ((اجتباه وهداه إلى البلد ، ۱) أي : بينا له الخير والشر . وقد تعدى بإلى كقوله تعالى : ((اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم) [النحل ١٢١] ، ((فاهدوهم إلى صراط الجحيم) [النحل ١٢١] ،

وذلك بمعنى الإرشاد والدلالة ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِنْكُ لِتَهْدِي إِلَى صَرَاطَ مَسْتَقِيمَ ﴾ [الشورى ٥٢] . وقد تعدى باللام كقول أهل الجنة ﴿ الحمد لله الذي هدانا لهذا ﴾ [الأعراف ٤٣] أي : وفقنا لهذا ، وجعلنا له أهلا .

قلت : الهداية نوعان : هداية دلالة وإرشاد وهداية توفيق وإلهام وكله مراد هنا .

وأما الصراط المستقيم: فقال الإمام أبو جعفر بن جرير: أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعا على أن الصراط المستقيم هو: الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه. وكذلك ذلك في لغة جميع العرب، فمن ذلك قول جرير بن عطية الخطفى:

أمير المؤمنين على صراط إذا اعوج الموارد مُستقيم

قال : والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصر . قال : ثم تستعير العرب الصراط ، فتستعمله في كل قول وعمل وصف باستقامة أو اعوجاج ؛ فتصف المستقيم باستقامته ، والمعوج باعوجاجه .

ثم اختلفت عبارات المفسرين من السلف والخلف ، في تفسير الصراط وإن كان يرجع حاصلها إلى شيء واحد ، وهو المتابعة لله وللرسول ، فروي أنه كتاب الله . كما في حديث الحارث الأعور عن على وهو حديث ضعيف .

وقال عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر: ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ قال: الإسلام، هو أوسع مما بين السماء والأرض. وإسناده حسن.

وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده عن النواس بن سمعان ، عن رسول الله على قال : ضرب الله مثلا ؛ صراطا مستقيما ، وعلى جنبتي الصراط سوران ، فيهما أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى باب الصراط داع يقول : يا أيها الناس ! ادخلوا الصراط جميعا ، ولا تعوجوا وداع يدعو من فوق الصراط ، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال : ويحك ! لا تفتحه ، فإنك إن تفتحه تلجه . فالصراط : الإسلام ، والسوران : حدود الله ، والأبواب المفتحة : محارم الله ، وذلك الداعي على رأس الصراط: كتاب الله ،

والداعي من فوق : واعظ الله من قلب كل مسلم . قال ابن كثير : وهو إسناد حسن صحيح . قلت : صححه أيضا الحاكم والسيوطي والألباني .

وقال مجاهد : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ قال : الحق .

وهذا أشمل ولا منافاة بينه وبين ما تقدم.

وعن أبي العالية ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ قال : هو النبي على وصاحباه من بعده . قال عاصم : فذكرنا ذلك للحسن . فقال : صدق أبو العالية ونصح . إسناده حسن .

قال ابن كثير: وكل هذه الأقوال صحيحة ، وهي متلازمة ؛ فإن من اتبع النبي على ، واقتدى باللذين من بعده _ أبي بكر وعمر _ فقد اتبع الحق . ومن اتبع الحق ، فقد اتبع الإسلام ، ومن اتبع الإسلام ، فقد اتبع القرآن ، وهو كتاب الله وحبله المتين وصراطه المستقيم ، فكلها صحيحة ، يصدق بعضها بعضا ولله الحمد .

وعن عبد الله بن مسعود قال: الصراط المستقيم؛ الذي تركنا عليه رسول الله على إسناده صحيح.

ولهذا قال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله: والذي هو أولى بتأويل هذه الآية عندي _ أعني ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ أن يكون معنيا به: وفقنا للثبات على ما ارتضيته ، ووفقت له من أنعمت عليه من عبادك ، من قول وعمل . وذلك هو الصراط المستقيم ، لأن من وفق لما وفق له من أنعم الله عليه من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ؛ فقد وفق للإسلام وتصديق الرسل والتمسك بالكتاب ، والعمل بما أمره الله به ، والانزجار عما زجره عنه ، واتباع منهاج النبي في ومنهاج الخلفاء الأربعة وكل عبد صالح . وكل ذلك من الصراط المستقيم .

فإن قيل: فكيف يسأل المؤمن الهداية في كل وقت من صلاة وغيرها ، وهو متصف بذلك ؟ وهل هذا من باب تحصيل الحاصل أم لا ؟

فالجواب: أن لا ، ولولا احتياجه ليلا ونهارا إلى سؤال الهداية ، لما أرشده الله إلى ذلك ؛ فإن العبد مفتقر في كل ساعة وحالة إلى الله تعالى ، في تثبيته على الهداية ، ورسوخه فيها ، وتبصره وازدياده منها ، واستمراره عليها ؛ فإن العبد لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ، فأرشده تعالى إلى أن يسأله في كل وقت أن يمده بالمعونة والثبات والتوفيق ؛ فالسعيد

من وفقه (الله تعالى) لسؤاله ، فإنه تعالى قد تكفل بإجابة الداعي إذا دعاه ، ولا سيما المضطر المحتاج المفتقر إليه ، آناء الليل وأطراف النهار، وقد قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل الآية . [النساء ١٣٦] ، فقد أمر الذين آمنوا بالإيمان ، وليس ذلك من باب تحصيل الحاصل ؟ لأن المراد الثبات والاستمرار والمداومة على الأعمال المعينة على ذلك ، والله أعلم .

العنصر السابع:

صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين

القراءة في صراط كالقراءة في الصراط معرفة .

وقد تقدم الحديث فيما إذا قال العبد : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ إلى آخرها ؛ أن الله يقول : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل .

وقوله : ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ مفسر للصراط المستقيم ، وهو بدل منه عند النحاة، ويجوز أن يكون عطف بيان والله أعلم .

والذين أنعم الله عليهم هم المذكورون في سورة النساء حيث قال تعالى : ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما ﴾ [النساء ٩٦-٧٠] .

وعن الربيع بن أنس: ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ قال: هم النبيون.

وقال ابن جريج عن ابن عباس: هم المؤمنون. وكذا قال مجاهد.

وقال وكيع: هم المسلمون.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هم النبي على ومن معه.

والآية أعم وأشمل.

وقوله تعالى : ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾

قرأ الجمهور ﴿غير﴾ بالجر على النعت .

قال الزمخشري: وقرئ بالنصب على الحال ، وهي قراءة رسول الله على وعمر بن الخطاب ، ورويت عن ابن كثير . وذو الحال: الضمير في ﴿ عليهم ﴾ ، والعامل ﴿ أنعمت ﴾ .

قلت: تعبيره بقراءة النبي على غير صحيح فإن قراءة العشرة هي قراءة رسول الله على بأصح الأسانيد بل بالتواتر وأما هذا فالمراد به أنها رويت عن النبي على بالآحاد الضعيفة أو الشاذ وقد روى الدوري عن عبد الجبار بن وائل بن حجر قال: قرأ النبي على غير المغضوب عليهم ولا الضالين. وهي غير مشكلة ولعلها المرادة هنا وإسناده ضعيف لإرساله وروى الطبراني عن ابن مسعود أنه قرأ على رسول الله على غير المغضوب عليهم خفض. قال الهيثمي: فيه الفياض بن غزوان وهو ضعيف وجماعة لم أعرفهم.

وأما قراءة عمر فله فقد أخرجها ابن أبي داود في المصاحف من طرق عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود وعلقمة عنه وهذا إسناد صحيح ، وهي قراءة تفسيرية أو منسوخة شاذة . والمعنى : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ ممن تقدم وصفهم ونعتهم، وهم أهل الهداية ، والاستقامة والطاعة لله ورسله ، وامتثال أوامره وترك نواهيه وزواجره ، غير صراط المغضوب عليهم ، وهم الذين فسدت إراداتهم ، فعلموا الحق وعدلوا عنه . ولا صراط الضالين ؛ وهم الذين فقدوا العلم ، فهم هائمون في الضلالة ، لا يهتدون إلى الحق . وأكد الكلام بلا ، ليدل على أن ثم مسلكين فاسدين ، وهما طريقتا اليهود والنصارى .

وقد زعم بعض النحاة أن غير ههنا استثنائية ، فيكون على هذا منقطعا لاستثنائهم من المنعم عليهم ، وليسوا منهم . والأول أولى أي : غير صراط المغضوب عليهم . اكتفى بالمضاف إليه عن ذكر المضاف ، وقد دل عليه سياق الكلام ، وهو قوله : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ ثم قال : ﴿ غير المغضوب عليهم ﴾ .

ومنهم من زعم أن لا في قوله : ﴿ ولا الضالين ﴾ زائدة ، وأن تقدير الكلام عنده : غير المغضوب عليهم والضالين . واستشهد ببيت العجاج :

في بير لا حور سعى وما شعر

أي: في بير حور . والصحيح ما تقدم .

وقوله حور : أي هلكة . أي بئر هلكة .

ولهذا روى أبو عبيد القاسم بن سلام عن عمر بن الخطاب : أنه كان يقرأ : غير المغضوب عليهم وغير الضالين . وهذا إسناد صحيح .

وكذا حكي عن أبي بن كعب أنه قرأ كذلك . وهو محمول على أنه صدر منه على وجه التفسير ، فيدل على ما قلناه من أنه إنما جيء بما لتأكيد النفي (لئلا يتوهم أنه معطوف على الذين أنعمت عليهم) ، وللفرق بين الطريقتين لتجتنب كل منهما ؛ فإن طريقة أهل الإيمان مشتملة على العلم بالحق والعمل به ، واليهود فقدوا العمل ، والنصارى فقدوا العلم . ولهذا كان الغضب لليهود ، والضلال للنصارى ؛ لأن من علم وترك استحق الغضب ، بخلاف من لم يعلم . والنصارى لما كانوا قاصدين شيئا ، لكنهم لا يهتدون إلى طريقه ، لأخم لم يأتوا الأمر من بابه ، وهو اتباع الرسول الحق ضلوا . وكل من اليهود والنصارى ضال مغضوب عليه ، لكن أخص أوصاف اليهود الغضب (كما قال عنهم : ﴿ من لعنه الله وغضب عليه ﴾ [المائدة ٢٠]) وأخص أوصاف النصارى الضلال . (كما قال : ﴿ قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل ﴾ [المائدة ٢٧]) وبهذا جاءت الأحاديث والآثار .

من ذلك مارواه أحمد وغيره عن عدي بن حاتم قال : سألت رسول الله عن قوله تعالى : ﴿ غير المغضوب عليهم ﴾ قال : هم اليهود ﴿ ولا الضالين ﴾ قال : النصارى هم الضالون . وإسناده حسن .

وعن أبي ذر قال : سألت رسول الله عن ﴿ المغضوب عليهم ﴾ قال : اليهود . قال : قلت : ﴿ الضالين ﴾ . قال : النصاري.

ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري وعزاه لابن مردويه بإسناد حسن.

وفي تفسير السدي عن ابن عباس وابن مسعود ، وعن أناس من أصحاب النبي على : ﴿ غير المغضوب عليهم ﴾ هم اليهود . ﴿ ولا الضالين ﴾ هم النصارى .

قال ابن أبي حاتم: ولا أعلم بين المفسرين في هذا اختلافا.

الأسئلة:

- ١. تفسير المفردات هو غالب ما يروى عن الصحابة والتابعين في التفسير (صح)
- التفسير الإجمالي هو عرض للمعنى الإجمالي الذي تضمنته الآيات وهي طريقة القليل من المفسرين (خطأ)
- التفسير التحليلي هو مبني على تحليل الآية من حيث تركيبها اللغوي ومعاني مفرداتها وما يستنبط منها من أحكام (صح)
- التفسير الموضوعي نوع من التصنيف لا يذكر كثيرا ضمن كتب التفسير لأنه لا يستوعب آيات القرآن الكريم بل هو أقرب إلى التصنيفات المستقلة . (صح)
 - ٥. العياذة تكون لدفع الشر واللياذ لطلب جلب الخير . (صح)
- والشيطان في لغة العرب مشتق من شطن وقيل: مشتق من شاط والثاني أصح (خطأ)
 - ٧. الرجيم: فعيل بمعنى مفعول أي أنه مرجوم مطرود عن الخير كله (صح)
- ٨. للنحاة قولان في تقدير المتعلق بالباء في قولك : بسم الله ؛ هل هو اسم أو فعل ؟
 وهما متقاربان ، وكل قد ورد به القرآن (صح)
- ٩. مسألة الاسم هل هو المسمى أو غيره الخوض فيها على جميع التقديرات يجري مجرى العبث (صح)
 - ١٠. الله يقال: إنه الاسم الأعظم لأنه يوصف بجميع الصفات (صح)
- 11. ذكر الرازي في تفسيره عن بعضهم أن لله خمسة آلاف اسم منها ألف في الكتاب والسنة الصحيحة وهذا من فوائد تفسير الرازي القيمة . (خطأ)
- 11. القول بعدم اشتقاق لفظ: الله أصح والمشتق المذكور في الشواهد هو لفظ الإله وليس لفظ الله . (صح)
- ١٣. استدلال القرطبي على أن اسم الرحمن مشتق بالحديث القدسي أنا الرحمن ، خلقت الرحم ، وشققت لها (اسما) من اسمى استدلال دقيق في محله (خطأ)
- 11. الرحمن أبلغ من الرحيم لأن فعلان لا يقع إلا على مبالغة الفعل وفعيل قد يكون بمعنى الفاعل والمفعول (صح)

- ٥١. الحديث الذي يدل على ان العرب لم يكونوا يعرفون الرحمن إلا رحمن اليمامة حديث ثابت (خطأ)
- 17. اشتهر عند كثير من العلماء ، أن الحمد هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية ، والشكر لا يكون إلا على المتعدية ، ويكون بالجنان واللسان والأركان . (صح)
- ١٧. اختلف في أيها أعم ، الحمد أو الشكر ؟ على قولين . والتحقيق أنهما سواء . (خطأ)
 - ١٨. الألف واللام في ﴿الحمد﴾ للعهد (خطأ)
 - ١٩. لا يستعمل الرب لغير الله إلا بالإضافة (صح)
- ۲۰. استدل بقوله تعالى : ﴿ ليكون للعالمين نذيرا ﴾ على أن العالمين يراد به كل من يعقل
 من الإنس والجن والملائكة (خطأ)
- ٢١. حدیث الزهري أن رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان ومعاویة وابنه یزید بن معاویة كانوا یقرؤون : ﴿ مالك یوم الدین ﴾. وأول من أحدث ﴿ملك﴾ مروان . حدیث حسن له توجیه معتبر . (خطأ)
- ٢٢. الدين في قوله مالك يوم الدين مثل الدين في قوله : ﴿ يومئذ يوفيهم الله دينهم الله الحق ﴾ (صح)
 - ٢٣. الذي يقرأ إياك نعبد بدون تشديد الياء كأنما يقول ضوء شمسك نعبد (صح)
 - ٢٤. قراءة الصراط مع إشمام الصاد زايا مثل ظاء العوام لا تنبغي (خطأ)
- ٢٥. اختلفت عبارات المفسرين من السلف والخلف ، في تفسير الصراط وإن كان يرجع حاصلها إلى شيء واحد ، وهو المتابعة لله والرسول في (صح)
- ٢٦. يسأل المؤمن الهداية في كل وقت من صلاة وغيرها ، وهو متصف بذلك لأن العبد مفتقر في كل ساعة وحالة إلى الله تعالى ، في تثبيته على الهداية (صح)
- ٢٧. الذين أنعمت عليهم لا يصح أن يفسروا بالمذكورين في سورة النساء : ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم... الآية (خطأ)
- ٢٨. عن عمر بن الخطاب: أنه كان يقرأ: غير المغضوب عليهم وغير الضالين وهو
 محمول على أنه صدر منه على وجه التفسير (صح)

- 79. اليهود فقدوا العمل ، والنصارى فقدوا العلم . ولهذا كان الغضب لليهود ، والضلال للنصارى (صح)
- .٣٠. لا يوجد بين المفسرين اختلاف في أن المغضوب عليهم في هذه الآية هم اليهود والضالين هم النصارى . (صح)

المحاضرة الخامسة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

أما بعد

فمحاضرة اليوم استكمال لحديثنا عن الفاتحة وسيكون البحث في المسائل والأحكام المتعلقة بالفاتحة فنقول:

اشتملت هذه السورة على حمد الله ، وتمجيده ، والثناء عليه ، وعلى ذكر المعاد _ وهو يوم الدين _ وعلى إرشاد الله العباد إلى سؤاله ، والتضرع إليه ، والتبري من حولهم وقوتهم ، وإلى إخلاص العبادة له ، وتوحيده بالألوهية _ تبارك وتعالى _ وإلى سؤالهم إياه الهداية إلى الصراط المستقيم _ وهو الدين القويم _ وتثبيتهم عليه ، حتى يفضي بهم ذلك إلى جنات النعيم ، في جوار النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . واشتملت على الترغيب في الأعمال الصالحة ، ليكونوا مع أهلها يوم القيامة . والتحذير من مسالك الباطل ، لئلا يحشروا مع سالكيها يوم القيامة ، وأهمهم المغضوب عليهم اليهود والضالون النصاري .

ومن المسائل والأحكام المتعلقة بمذه السورة العظيمة:

أولا : يتعذر على بعض من يقرأ هذه السورة تحرير النطق بالضاد في قوله : ولا الضالين . فمنهم من ينطقها دالا مفخمة أو طاء ومنهم من ينطقها ظاء خالصة ومنهم من ينطقها ظاء كظاء عوام مصر دون إخراج طرف اللسان وعلى القارئ أن يحاول تحقيق مخرجها ونطقها نطقا صحيحا فإذا تعذر عليه ذلك فنطقها بما يشبه الظاء وهو أهون خطأ من نطقها دالا أو طاء اغتفر له ذلك ولذا قال الحافظ ابن كثير: والصحيح من مذاهب العلماء أنه يغتفر الإخلال بتحرير مابين الضاد والظاء لقرب مخرجيهما ؟ وذلك أن الضاد مخرجها من أول حافة اللسان ، وما يليها من الأضراس ، ومخرج الظاء من طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا ، ولأن كلا من الحرفين من الحروف المجهورة ، ومن الحروف الرخوة ، ومن الحروف المطبقة ؟ فلهذا اغتفر استعمال إحداهما مكان الأخرى لمن لا يميز ذلك ، والله أعلم .

وهذه صفات للحروف لها أضداد وضد الجهر الهمس وضد الرخاوة الشدة وضد الإطباق الانفتاح. وقد أبعد بعضهم النجعة فظن أن نطقها ظاء صوابا وضمن كلامه ما تقدم عن الحافط ابن كثير ولمن يفطن إلى أنه اعتبره خطأ مغتفرا في حق من تعذر عليه النطق الصحيح فأمليت رسالة مختصرة في الرد عليه سميتها: تنزيه المثاني من النطق بالضاد عند عبيد الله الأفغاني. فمن شاء التوسع في تلك المسألة فليراجع الرسالة المذكورة.

وأما حديث : أنا أفصح من نطق بالضاد ؛ فقد قال ابن كثير : لا أصل له . وقال السيوطى: معناه صحيح ولكن لا أصل له .

ثانيا: إذا طرحنا سؤالا فقلنا لماذا أسند الله الضلال في هذه السورة إلى من قام به ؟ ألا يكون في ذلك حجة للقدرية ، ومن حذا حذوهم ، من أن العباد هم الذين يختارون ذلك ، ويفعلونه ؟

فالجواب: إن أصحاب الفرق الضالة يحتجون على بدعهم بمتشابه من القرآن ، ويتركون ما يكون فيه صريحا في الرد عليهم ، وهذا حال أهل الضلال والغي . قال تعالى : ﴿ فأما الذين يكون فيه صريحا في الرد عليهم ، وهذا حال أهل الضلال والغي . وقد ورد في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم :" إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه ، فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم" فليس بحمد الله لمبتدع في القرآن حجة صحيحة ، لأن القرآن جاء ليفصل الحق من الباطل ، مفرقا بين الهدى والضلال ، وليس فيه تناقض ولا اختلاف ؛ لأنه من عند الله تنزيل من حكيم حميد . والصواب هو ما عليه أهل السنة والجماعة وأن الله هو الذي أضلهم بقدره ، كما قال : ﴿ من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ﴾ [الكهف ١٧] وقال : ﴿ من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون ﴾ [الأعراف ١٨٦] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أنه سبحانه هو المنفرد بالهداية والإضلال ، وأما نسبة ذلك لهم فهو من باب التأدب في الخطاب من العبد لربه كما في قول إبراهيم عليه السلام : وإذا مرضت فهو يشفين . فنسب المرض لنفسه والشفاء لله والكل منه سبحانه والأمثلة على ذلك من الكتاب والسنة مشهورة .

ثالثا: حكم الاستعاذة ولفظها:

قال الشاطبي رحمه الله:

إذا ما أردت الدهر تقرأ فاستعذ جهارا من الشيطان بالله مسجلا على ما أتى في النحل يسرا وإن تزد لربك تنزيها فلست مجهلا وقد ذكروا لفظ الرسول فلم يزد ولو صح هذا النقل لم يبق مجملا

والجمهور على أن الاستعادة مستحبة ليست بمتحتمة يأثم تاركها ، وحكى الرازي عن عطاء بن أبي رباح وجوبها في الصلاة وخارجها كلما أراد القراءة قال وقال ابن سيرين إذا تعوذ مرة واحدة في عمره فقد كفى في إسقاط الوجوب واحتج الرازي لعطاء بظاهر الآية فاستعذ وهو أمر ظاهره الوجوب وبمواظبة النبي صلى الله عليه وسلم عليها ولأنحا تدرأ شر الشيطان وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ولأن الاستعادة أحوط وهو أحد مسالك الوجوب . وهو كلام وجيه ويؤيده ما نقلناه عن الشاطبي .

وأما الجهر بما فقال الشافعي وغيره : يجهر بالتعوذ وإن أسر فلا يضر . واختيار الشاطبي الجهر ولاشك في أنه أولى .

وأما لفظ الاستعاذة فاختلف فيه: فقيل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

وقيل: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم.

وقيل : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم

وقيل: أستعيذ بالله من الشيطان الرجيم

وأصح ذلك وأكمله ما ثبت في الأحاديث الصحيحة وهو القول الثاني لما رواه أحمد وأصحاب السنن عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله الله الله عنه إذا قام من الليل فاستفتح صلاته وكبر قال: سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك. ويقول: لا إله إلا الله. ثلاثا. ثم يقول: الله أكبر ثلاثا ثم يقول: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه.

وقد فسر الهمز بالموتة وهي الخنق الذي يعتري المصروع من الجنون أو غيره ثم يفيق والنفخ بالكبر والنفث بالشعر .

وهو وإن كان في الصلاة فهو أولى ما يتبع في القراءة خارجها كذلك .

والأول كاف أيضا لما ثبت من لفظه في غير القراءة وهو ما دلت عليه سورة النحل . وقد روي في لفظ الاستعاذة عند القراءة حديث لا يصح ولو ثبت لم يبق في هذا الأمر إجمال كما قال الشاطبي وقد رواه ابن جرير عن ابن عباس قال : أول ما نزل جبريل على محمد قال : قل : بسم قال : يا محمد استعذ قل : أستعيذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قال : قل : بسم الله الرحمن الرحيم . ثم قال : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ ... إلخ .

قال ابن كثير: في إسناده ضعف وانقطاع.

قلت: نقل هذا الكلام عن الحافظ ابن كثير الإمام ابن الجزري وأقره على ضعفه وانقطاعه وعدم قيام الحجة به وذكر أن أبا عمرو الداني أخرجه أيضا بلفظ: قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. وهذا اللفظ هو الذي عناه الشاطبي.

والضعف المذكور في كلام ابن كثير من جهة أحد الرواة وهو بشر بن عمارة الخثعمي وهو ضعيف ، وأما الانقطاع فبين راويه الضحاك وابن عباس .

وأما موضع الاستعاذة:

فقال ابن كثير: والمشهور الذي عليه الجمهور أن الاستعاذة إنما تكون قبل التلاوة لدفع الوسواس فيها. ومعنى الآية عندهم ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ [النحل ٩٨] أي إذا أردت القراءة كقوله ﴿ إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم ﴾ [المائدة ٦] الآية أي إذا أردتم القيام والدليل على ذلك الأحاديث عن رسول الله بذلك.

وقال ابن الجزري : هو قبل القراءة إجماعا ولا يصح قول بخلافه عن أحد ممن يعتبر قوله وإنما آفة العلم التقليد .

أما رواية ابن قلوقا عن حمزة فهي منقطعة ... لا يصح إسنادها وأما أبو هريرة فالذي نقل عنه رواه الشافعي في مسنده ... عن صالح بن أبي صالح أنه سمع أبا هريرة وهو يؤم الناس رافعا صوته (ربنا إنا نعوذ بك من الشيطان الرجيم) في المكتوبة وإذا فرغ من أم القرآن . وهذا إسناد لا يحتج به لأن إبراهيم بن محمد _ يعني شيخ الشافعي فيه _ هو الأسلمي وقد أجمع أهل النقل والحديث على ضعفه ولم يوثقه سوى الشافعي ، قال أبوداود : كان قدريا

رافضيا مأبونا كل بلاء فيه ، وصالح بن أبي صالح الكوفي ضعيف وإن على تقدير صحته لا يدل على أن الاستعاذة بعد القراءة بل يدل على أنه كان يستعيذ إذا فرغ من أم القرآن أي للسورة الأخرى وذلك واضح .

وقال ابن الجزري: وأما ابن سيرين والنخعي فلا يصح عن واحد منهما عند أهل النقل وأما داود وأصحابه فهذه كتبهم موجودة لا تعد كثرة لم يذكر فيها أحد شيئا من ذلك ونص ابن حزم إمام أهل الظاهر على التعوذ قبل القراءة ولم يذكر غير ذلك .

قلت : الذي نقل جل هذه الأقوال الرازي في تفسيره وقد وقفت على خلط كثير في نسبة الآثار لدى الرازي رحمه الله في عدة مواضع من كتابه فلا يوثق بنقله .

قال ابن العربي: ومن أغرب ماوجدناه قول مالك في المجموعة في تفسير هذه الآية ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ قال ذلك بعد قراءة أم القرآن لمن قرأ في الصلاة . وهذا قول لم يرد به أثر ولا يعضده نظرولا يشبه أصل مالك ولا فهمه ؟ فالله أعلم بسر هذه الرواية .

قال الرازي: وأقول: هاهنا قول ثالث وهو أن يقرأ الاستعاذة قبل القراءة بمقتضى الخبر وبعدها بمقتضى القرآن، جمعا بين الدليلين بقدر الإمكان.

قلت : وهو جمع غير وجيه لأن الخبر مفسر للقرآن لا وجه غيره .

(النشر ٢٥٤/١ - ٢٥٥، وانظر مسند الشافعي ٥/١٣ ، تفسير القرطبي ٧٧/١ ، أحكام القرآن ١١٧٦/٣ ، مفاتيح الغيب ٢٠/١) .

رابعا: البسملة:

مواضع استحباب البسملة:

وهي كثيرة وقد أخرج الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي وغيره من حديث أبي هريرة مرفوعا : كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم أقطع . وحسنه السيوطي وفي إسناده أحمد بن محمد بن عمران وهو ضعيف والحديث قال فيه الألباني : ضعيف جدا ا.ه وقد جاء بلفظ : لا يبدأ بحمد الله وحسنه جماعة من الأئمة .

وقد استند الحافظ ابن كثير لهذا الحديث في استحبابها عند الخطبة.

وتقدم ما يدل على استحبابها إذا تعثر المسلم ، وتستحب البسملة عند دخول الخلاء لما ورد من الحديث في ذلك ، وتستحب في أول الوضوء لما جاء في مسند الإمام أحمد وغيره : "لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه" . وقد ضعف جميع طرقه جماعة من أهل العلم وصححها بعضهم والصواب أنه حديث حسن بمجموع طرقه .

قال ابن كثير: هو حديث حسن ، ومن العلماء من أوجبها عند الذكر ههنا ، ومنهم من قال بوجوبها مطلقا .

وكذا تستحب عند الذبيحة في مذهب الشافعي وجماعة ، وأوجبها آخرون عند الذكر ومطلقا في قول بعضهم كما سيأتي بيانه في موضعه .

وهكذا تستحب عند الأكل لما في الصحيحين أن رسول الله على قال لربيبه عمر بن أبي سلمة: قل بسم الله وكل بيمينك وكل مما يليك". ومن العلماء من أوجبها والحالة هذه.

وكذلك تستحب عند الجماع لما في الصحيحين عن ابن عباس أن رسول الله على قال: " لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ، فإنه إن يقدر بينهما ولد لم يضره الشيطان أبدا ".

وهناك مواضع أخرى كثيرة وما ذكرناه كفاية .

(إرواء الغليل ١٢٢/١ ، البدر المنير ٢/٥٧٣-٢٥٧ ، التحقيق في أحاديث الخلاف الرواء الغليل ١٢٢/١ ، البدر المنير ٣/١٥-٢٧١ ، الجامع لأخلاق الراوي ٢٩/١) البادر المنير ٢/٧١)

هل هي آية من كل سورة أم لا ؟

أجمع أهل العلم على أنها بعض آية من سورة النمل.

ثم اختلفوا: هل هي آية مستقلة في أول كل سورة ، أو من أول كل سورة كتبت في أولها ، أو أنها بعض آية من أول كل سورة ، أو أنها كذلك في الفاتحة دون غيرها ، أو أنها إنما كتبت للفصل لا أنها آية على أقوال للعلماء سلفا وخلفا وذلك مبسوط في غير هذا الموضع .

وممن ذهب إلى أنها آية من كل سورة إلا براءة : عبد الله بن المبارك والشافعي وأحمد بن حنبل في رواية عنه وإسحاق بن راهويه وأبو عبيد القاسم بن سلام رحمهم الله . ونسب لجماعة من الصحابة والتابعين وجلها إما أسانيدها ضعيفة وإما ألفاظها ليست نصا فيما نسب إليهم . وقال مالك وأبو حنيفة وأصحابهما : ليست آية من الفاتحة ولا من غيرها من السور .

وقال الشافعي في قول : هي آية من الفاتحة وليست من غيرها . وعنه أنها بعض آية من أول كل سورة وهما غريبان .

وقال داود : هي آية مستقلة في أول كل سورة لا منها . وهذه رواية عن الإمام أحمد بن حنبل وحكاه أبو بكر الرازي عن محمد بن الحسن والكرخي وهما من أكابر أصحاب أبي حنيفة رحمهم الله .

والراجح من ذلك أنها آية مستقلة نزلت للفصل بين السور كما في القول الأخير لما رواه أبو داود وغيره بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله عنه كان لا يعرف فصل السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم .

وقد اختلف علماء العدد في عد البسملة آية من الفاتحة فعدها الكوفي والمكي ولم يعدها بقية العلماء السبعة وعدوا بدلا منها أول لفظ عليهم فهي باتفاقهم سبع آيات .

قال الناظم: الكوفي مع مكى يعد البسملة سواهما أولى عليهم عد له

والقول الثاني أصح لحديث أبي هريرة قسمت الصلاة بين وبين عبدي نصفين فقد بدأ فيه بالحمد لله رب العالمين ولم يذكر البسملة ثم جعل لله الثلاث آيات الأولى وقال في الرابعة: هذه بيني وبين عبدي ثم جعل الثلاث آيات الأخيرة للعبد. فتمت القسمة بذلك معنى وعددا.

وأما ما رواه ابن خزيمة عن أم سلمة أن رسول الله على قرأ البسملة في أول الفاتحة في الصلاة وعدها آية . فهو من رواية عمر بن هارون البلخي قال فيه ابن حجر : متروك . فالحديث ضعيف ولا يوجد ما يشهد له على عدها آية .

فأما مايتعلق بالجهر بما فمفرع على هذا ؛ فمن رأى أنما ليست منها فلا يجهر بما وكذا من قال : إنما آية من أولها وأما من قال بأنما من أوائل السور فاختلفوا فذهب الشافعي إلى أنه

يجهر بها مع الفاتحة والسورة ، وهو مذهب طوائف من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين خلفا وسلفا ، وقد ذكر ابن كثير أسماءهم مفصلة .

ثم قال: والحجة في ذلك أنها بعض الفاتحة فيجهر بها كسائر أبعاضها. وأيضا فقد روى النسائي في سننه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والحاكم في مستدركه عن أبي هريرة أنه صلى فجهر في قراءته بالبسملة وقال بعد أن فرغ: إني لأشبهكم صلاة برسول الله في وصححه الدارقطني والخطيب والبيهقي وغيرهم.

قلت: أصل هذا الحديث في صحيح مسلم مختصرا ، ولكنه ليس نصا في المسألة فالمشابحة لا تعني المطابقة في كل المواضع وقد يقصد في بعض أمور الصلاة التي كان الاختلاف حولها كالجهر بالتكبيرات أو الطول والقصر ونحو ذلك .

وروى أبو داود والترمذي عن ابن عباس أن رسول الله على كان يفتح الصلاة ببسم الله الرحمن الرحمن الله الرحمن الرحيم ثم قال الترمذي: وليس إسناده بذاك .

قلت : هذا في إسناده مجهول . فلا يثبت .

وقد رواه الحاكم في مستدركه عن ابن عباس قال : كان رسول الله على يجهر ببسم الله الرحمن الرحمن الرحمن . ثم قال : صحيح .

قلت : قد تعقبه الذهبي بقوله : ابن حسان - يعني عبد الله بن عمرو بن حسان المذكور في إسناده - كذبه غير واحد ومثل هذا لا يخفي على المصنف .ا.هـ فالحديث ضعيف جدا .

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك أنه سئل عن قراءة النبي فقال: كانت قراءته مدا. ثم قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم.

وفي مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود وصحيح ابن خزيمة ومستدرك الحاكم عن أم سلمة أنها قالت : كان رسول الله على يقطع قراءته بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين . وقال الدارقطني : إسناده صحيح .

وروى الشافعي رحمه الله والحاكم في مستدركه عن أنس أن معاوية صلى بالمدينة فترك البسملة ، فأنكر عليه من حضره من المهاجرين ذلك ، فلما صلى المرة الثانية بسمل .

قلت : قال الحاكم : صحيح على شرط مسلم وسكت الذهبي . وهذه الروايات ليست صريحة في جهر النبي على بالبسملة في الصلاة .

قال ابن كثير: وفي هذه الأحاديث والآثار التي أوردناها كفاية ومقنع في الاحتجاج لهذا القول عما عداها. فأما المعارضات والروايات الغريبة وتطريقها وتعليلها وتضعيفها وتقريرها فله موضع آخر.

وذهب آخرون إلى أنه لا يجهر بالبسملة في الصلاة وهذا هو الثابت عن الخلفاء الأربعة ، وعبد الله بن مغفل ، وطوائف من سلف التابعين والخلف وهو مذهب أبي حنيفة والثوري وأحمد بن حنبل .

قلت : أما أبو بكر وعمر وعثمان فثابت عنهم كما سيأتي وأما علي فلم أقف على ثبوته عنه بل روي عنه عكسه ونقل الرازي أن عليا كان يجهر بالتسمية وأن ذلك ثبت بالتواتر (انظر مفاتيح الغيب ٢٠٥/١) وهيهات أن يكون كما قال .

وقد قال الترمذي عقب حديث عبد الله بن مغفل الآتي ذكره: والعمل عليه عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي على منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وغيرهم.

كما قد روى الطبراني عن أبي وائل قال : كان علي وعبد الله لا يجهران ببسم الله الرحمن الرحمن الرحمن الرحيم ولا بالتعويذ ولا بالتامين . وقال الهيثمي : فيه أبو سعد البقال وهو ثقة مدلس .

وعند الإمام مالك أنه لا يقرأ البسملة بالكلية لا جهرا ولا سرا واحتجوا بما في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله عنها يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين .

وبما في الصحيحين عن أنس بن مالك قال : صليت خلف النبي الله وأبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين .

ولمسلم: لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول قراءة ولا في آخرها. ونحوه في السنن عن عبد الله بن مغفل.

قلت : في رواية عبد الله بن مغفل أنه قد سمع ولده يجهر بالسملة فقال : أي بني إياك والحدث . وإسناده حسن .

قال ابن كثير: فهذه مآخذ الأئمة رحمهم الله في هذه المسألة وهي قريبة لأنهم أجمعوا على صحة صلاة من جهر بالبسملة ومن أسر ولله الحمد والمنة.

قلت: لكن القول بعدم الجهر بها أظهر لثبوت الحديث به ، ثم يبقى الحكم فيمن لم يقرأها أصلا عند من يعتبرها سابعة الفاتحة . وحسب ما رجحناه أولا فصلاته صحيحة ولا شيء عليه لأنها ليست منها ، وإن كان الأولى الإتيان بها خروجا من الخلاف .

خامسا : حكم قراءة الفاتحة في الصلاة :

سبق في حديث أبي هريرة قسمت الصلاة إطلاق لفظ الصلاة ، وأراد بها : القراءة ، كقوله تعالى : ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا ﴾ [الإسراء ١١] أي : بقراءتك كما جاء مصرحا به في الصحيح عن ابن عباس

فدل على عظمة القراءة في الصلاة ، وأنها من أكبر أركانها ، إذ أطلقت العبادة ، وأريد به جزء واحد منها وهو القراءة ، كما أطلق لفظ القراءة ، والمراد به الصلاة في قوله : ﴿ وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا ﴾ [الإسراء ٧٨] والمراد : صلاة الفجر كما جاء مصرحا به في الصحيحين من أنه تشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار. فدل ذلك كله على أنه لابد من القراءة في الصلاة ، وهو اتفاق من العلماء .

ولكن اختلفوا هل يتعين للقراءة في الصلاة فاتحة الكتاب ، أم تجزئ هي وغيرها ؟ على قولين مشهورين ؟

فعند أبي حنيفة رحمه الله ومن وافقه من أصحابه وغيرهم أنها لا تتعين ، بل مهما قرأ به من القرآن أجزأه في الصلاة . واحتجوا بعموم قوله تعالى ﴿فاقرءوا ما تيسر من القرآن ﴾ [المزمل ٢٠] وبما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة في قصة المسيء في صلاته أن رسول الله قال له : إذا قمت إلى الصلاة فكبر ، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن . قالوا : فأمره بقراءة ما تيسر ، ولم يعين له الفاتحة ولا غيرها ، فدل على ما قلنا .

والقول الثاني: أنه يتعين قراءة الفاتحة في الصلاة ، ولا تجزئ الصلاة بدونها . وهو قول بقية الأئمة مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وأصحابهم وجمهور العلماء . واحتجوا على ذلك بهذا الحديث المذكور ، حيث قال صلوات الله وسلامه عليه : " من صلى صلاة لم يقرأ بها بأم القرآن فهي خداج" . والخداج هو الناقص ، كما فسر في الحديث "غير تمام ".

واحتجوا أيضا بما ثبت في الصحيحين من حديث الزهري عن محمود بن الربيع عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله على : " لا صلاة لمن (لم) يقرأ بفاتحة الكتاب".

وفي صحيح ابن خزيمة وابن حبان عن أبي هريرة قال : قال رسول الله على : " لا تجزئ صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن" .

ثم إن مذهب الشافعي وجماعة من أهل العلم أنه تجب قراءتها في كل ركعة . وقال آخرون : إنما تجب قراءتها في معظم الركعات . وقال الحسن وأكثر البصريين : إنما تجب قراءتها في ركعة واحدة من الصلوات أخذا بمطلق الحديث : " لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب " .

ثم هل تجب قراءة الفاتحة على المأموم ؟ فيه ثلاثة أقوال للعلماء :

أحدها: أنه تجب عليه قراءتها ، كما تجب على إمامه ، لعموم الأحاديث المتقدمة .

والثاني: لا تجب على المأموم قراءة بالكلية ، لا الفاتحة ولا غيرها ، لا في الصلاة الجهرية ولا السرية ، لما رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن جابر بن عبد الله عن النبي الله قال: " من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة " . ولكن في إسناده ضعف

قلت: رجاله كلهم ثقات إلا أن أبا الزبير راويه عن جابر لم يصرح بالسماع وهو مدلس. وقد ضعف هذا الحديث جماعة وصححه آخرون وأظن أن التوجه الفقهي كان له أثر في كلام بعضهم حول هذا الحديث، ولا يستبعد تحسينه وقد حسنه الشيخ الألباني بعد مبحث نفيس فيه وقال الحافظ ابن حجر: مشهور من حديث جابر. (انظر الإرواء ٤٩٩)

ولكن ليس صريحا في قراءة الفاتحة وهو محمول على القراءة بعد الفاتحة جمعا بين الأدلة فلا يقرأ المأموم سوى الفاتحة خلف الإمام لأن قراءة الإمام تجزئ عنه .

والقول الثالث: أنه تجب القراءة على المأموم في السرية لما تقدم ، ولا تجب في الجهرية لما ثبت في صحيح مسلم عن أبي موسى الأشعري قال: قال: رسول الله على : " إنما جعل الإمام ليؤتم به ؛ فإذا كبر فكبروا ، وإذا قرأ فأنصتوا ... " وذكر بقية الحديث .

قلت : تكلم بعض الحفاظ في زيادة وإذا قرأ فأنصتوا في هذا الحديث والصواب ثبوتها فهي زيادة ثقة وليست شذوذا والفرق بينهما دقيق .

قال ابن كثير: وهكذا رواه بقية أهل السنن أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة عن النبي الحجاج أيضا. وقد صححه مسلم بن الحجاج أيضا.

قلت: لم يخرجه الترمذي ، وإسناده حسن وقد طعن بعض الحفاظ في زيادة ﴿ وإذا قرأ فأنصتوا ﴾ أيضا كما في الحديث السابق ووجهوا اللوم فيها على أبي خالد الاحمر ولكن قد تابعه محمد بن سعد الأنصاري وهو ثقة وغيره أيضا فهى زيادته ثابتة كذلك

انظر (سنن الدارقطني ٢/٨٦١-٣٣٠، السنن الكبرى للبيهقي ٢/١٥٦، إرواء الغليل (سنن الدارقطني ١٥٦/٢)

قال ابن كثير: فدل هذان الحديثان على صحة هذا القول، وهو قول قديم للشافعي رحمه الله، ورواية عن الإمام أحمد بن حنبل.

قلت: في ذلك نظر بل إنما دلا فقط على الإنصات عند قراءة الإمام ماسوى الفاتحة أو القراءة في وقت سكوته جمعا بين النصوص (انظر المحلى ٣٠٨/٣-٣١) وقد دل على ذلك صراحة حديث عبادة بن الصامت بلفظ: صلى بنا النبي على صلاة الصبح فثقلت عليه القراءة فلما انصرف قال: إني لأراكم تقرؤون وراء إمامكم قال: قلنا: أجل والله يارسول الله هذا! قال: فلا تفعلوا إلا بأم الكتاب فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها.

هذا لفظ ابن خزيمة في صحيحه وقد أخرجه غيره أيضا وإسناده صحيح (موسوعة فضائل سور وآيات القرآن ٤٣-٤).

ثامنا: التأمين بعدها:

يستحب لمن قرأ الفاتحة أن يقول بعدها: آمين كياسين . ويقال: أمين _ بالقصر أيضا كيمين _ ومعناه: اللهم استجب .

ونقل أبو نصر القشيري عن الحسن وجعفر الصادق أنهما شددا الميم من آمين مثل ﴿آمين البيت الحرام﴾ . [المائدة ٢]

والثابت المحفوظ في السنة الأول.

والدليل على استحباب التأمين ما رواه وائل بن حجر قال : سمعت النبي في قرأ ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ فقال : آمين _ مد بها صوته . أخرجه الترمذي وقال : هذا حديث حسن .

وعن أبي هريرة قال : كان رسول الله ﷺ إذا تلا ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ . قال : آمين . حتى يسمع من يليه من الصف الأول .

رواه أبو داود ، وابن ماجه _ وزاد : يرتج بها المسجد _ والدارقطني ، وقال : هذا إسناد حسن .

وعن بلال أنه قال : يارسول الله لا تسبقني بآمين . رواه أبو داود .

قلت : إسناده صحيح وأخرجه أيضا الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وسكت الذهبي .

ويستحب ذلك لمن هو خارج الصلاة ، ويتأكد في حق المصلي ، سواء أكان منفردا ، أم إماما ، أم مأموما ، وفي جميع الأحوال لما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله قال : إذا أمن الإمام فأمنوا ، فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه .

وفي لفظ أن رسول الله على قال: إذا قال أحدكم في الصلاة آمين ، والملائكة في السماء آمين ؛ فوافقت إحداهما الأخرى ، غفر له ما تقدم من ذنبه .

قيل : معنى من وافق تأمينه تأمين الملائكة : في الزمان . وقيل : في الإجابة . وقيل : في الإخلاص .

والأول أظهر .

وفي صحيح مسلم عن أبي موسى مرفوعا : وإذا قال _ يعني الإمام _ : ولا الضالين . فقولوا : آمين يجبكم الله .

وقال جويبر : عن الضحاك عن ابن عباس قال : قلت : يا رسول الله ! ما معنى آمين ؟ قال : رب افعل .

قلت : في إسناده جويبر صاحب التفسير وهو هالك وفيه انقطاع بين الضحاك وابن عباس . فلايصح .

وقال الجوهري : معنى آمين : كذلك فليكن . وقال الترمذي : معناه لا تخيب رجاءنا . وقال الأكثرون : معناه اللهم استجب لنا .

وحكى القرطبي عن مجاهد وجعفر الصادق وهلال بن يساف أن آمين اسم من أسماء الله تعالى . وروي عن ابن عباس مرفوعا ، ولا يصح . قاله أبو بكر بن العربي المالكي.

قلت لعل المراد والله أعلم أنه بمعنى اللهم استجب فقصدهم ما تضمنه من لفظ الجلالة ، لا أن آمين كلها اسم من أسماء الله لأنه لا معنى لذكر ذلك بعد الدعاء ولكان صحيحا عندهم أن يدعو الداعي فيقول: يا آمين ارحمني . أو أن يتسمى شخص به عبد آمين . وهذا كله باطل لم يرد شيء يدل عليه .

وقال أصحاب مالك: لا يؤمن الإمام ويؤمن المأموم لقوله: وإذا قال _ يعني الإمام _: ﴿ولا الضالين﴾ فقولوا: آمين ... الحديث

وقد ثبت غير هذا اللفظ وهو قوله: إذا أمن الإمام فأمنوا. وأنه عليه السلام كان يؤمن إذا قرأ ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾.

وهذا هو المعتمد ، لأن قوله إذا قال ولا الضالين فقولوا آمين لا يعني أنه لا يؤمن بل هو حث على أن يكون توقيت التأمين لهم موافقا لتأمين الإمام فكله بعد قول الإمام ولا الضالين.

وقد اختلف في الجهر بالتأمين للمأموم في الجهرية ، والصحيح أنه يجهر بذلك لثبوت الأحاديث به كما تقدم من قوله : حتى يرتج المسجد .

وقد روى الإمام أحمد عن عائشة أن رسول الله في ذكرت عنده اليهود فقال : إنهم لم يحسدونا على شيء ، كما يحسدونا على الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها ، وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها ، وعلى قولنا خلف الإمام : آمين .

قلت : أصله في الصحيح . وقال الهيثمي : إسناده حسن .

ورواه ابن ماجه ولفظه: " ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين".

قال البوصيري: إسناد صحيح احتج مسلم بجميع رواته. وصححه المنذري ومغلطاي والألباني

وعن أنس قال : قال رسول الله على : أعطيت آمين في الصلاة ، وعند الدعاء ، لم يعط أحد قبلي إلا أن يكون موسى ؟ كان موسى يدعو ، وهارون يؤمن ، فاختموا الدعاء بآمين ، فإن الله يستجيبه لكم .

قلت : الحديث في إسناده زربي بن عبد الرحمن وهو ضعيف وله شاهد أخرجه عبد الرزاق عن أبي هريرة من قوله وفيه كان موسى بن عمران إذا دعا أمن هارون على دعائه . وفيه بشر بن رافع ضعيف .

ولو صح الحديث لما كان فيه حجة لأن هارون لم يؤمر بأن يقول مثل قول موسى عليه السلام ولكن المصلي أمر بالقراءة كما سبق بيانه فلا يسقطها عنه مجرد التأمين والله أعلم . وقد ذكر ابن كثير هنا حديثين في فضل التأمين رواهما ابن مردويه عن أبي هريرة الله الأول عن رسول الله الله قال : آمين ؟ خاتم رب العالمين على عباده المؤمنين .

وفي إسناده أبو أمية إسماعيل بن يعلى قال الذهبي : متروك . وقال السيوطي : إسناده ضعيف .

والثاني عن رسول الله على : إذا قال الإمام : ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ . فقال : آمين . فوافق آمين أهل الأرض ، آمين أهل السماء ، غفر الله للعبد ما تقدم من ذنبه .

ومثل من لا يقول : آمين ، كمثل رجل غزا مع قوم ، فاقترعوا ، فخرجت سهامهم ولم يخرج سهمه . فقال : لم لم يخرج سهمي ؟ فقيل : إنك لم تقل : آمين .

قلت : وإسناده فيه ضعف لأجل الكلام المعروف في ليث بن أبي سليم . وقال الهيثمي : في الصحيح بعضه رواه أبو يعلى وفيه ليث بن أبي سليم وهو ثقة مدلس وقد عنعنه . هذا والله تعالى أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الأسئلة:

- الصحيح من مذاهب العلماء أنه يغتفر الإخلال بتحرير مابين الضاد والظاء لقرب مخرجيهما (صح)
- من الناس من ينطق الضاد دالا مفخمة أو طاء ومنهم من ينطقها ظاء خالصة ومنهم
 من ينطقها ظاء كظاء عوام مصر دون إخراج طرف اللسان وهو أهونها خطأ (صح)
 - ٣. حديث : أنا أفصح من نطق بالضاد ؛ حديث ثابت (خطأ)
- أسند الله الضلال في هذه السورة إلى من قام به من باب تعليم الأدب في الخطاب
 وإلا فهو سبحانه الذي أضلهم (صح)
- وجوب الاستعاذة في الصلاة وخارجها كلما أراد القراءة قول وجيه ويؤيده كلام الشاطبي (صح)
- ٦. أصح صيغ الاستعاذة وأكملها ما ثبت في الأحاديث الصحيحة وهو قوله: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. (خطأ)
 - ٧. روي في لفظ الاستعادة عند القراءة حديث لا يصح . (صح)
- ٨. موضع الاستعاذة قبل القراءة إجماعا ولا يصح قول بخلافه عن أحد ممن يعتبر قوله
 (صح)
 - ٩. الإمام الرازي رحمه الله دقيق جدا في نقله للآثار . (خطأ)
- ١٠. قراءة الاستعاذة قبل القراءة بمقتضى الخبر وبعدها بمقتضى القرآن ، جمعا بين الدليلين
 جمع غير وجيه لأن الخبر مفسر للقرآن وليس وجها غيره (صح)
- ١١. كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم أقطع . حديث صحيح (خطأ)
- ١١. تشرع البسملة عن الأكل وعند الذبح وعند الجماع وفي مواضع أخرى عديدة (صح)
 - ١٣. أجمع أهل العلم على أن البسملة آية كاملة من سورة النمل . (خطأ)
- 12. الراجح من أقوال العلماء أن البسملة آية مستقلة نزلت للفصل بين السور لما رواه أبو داود وغيره بإسناد صحيح عن ابن عباس (صح)
 - ١٥. القول الأصح هو عد البسملة آية من سورة الفاتحة (خطأ)

- - ١٧. عدم الجهر بالبسملة في الصلاة هو الثابت عن أبي بكر وعمر وعثمان (صح)
 - ١٨. القول بالجهر بالبسملة أظهر لثبوت الحديث به . (خطأ)
 - ١٩. أجمع الأئمة على صحة صلاة من جهر بالبسملة ومن أسر (صح)
 - ٢٠. ولا تجهر بصلاتك _ أي بقراءتك _ ولا تخافت بما وابتغ بين ذلك سبيلا (صح)
 - ٢١. وقرآن الفجر _ أي ما يقرأ في قيام الليل _ إن قرآن الفجر كان مشهودا (خطأ)
- ٢٢. قوله ﷺ: من صلى صلاة لم يقرأ بما بأم القرآن فهي خداج دليل على صحة صلاة من لم يقرأ بالفاتحة مع نقصان أجرها (خطأ)
- ٢٣. حديث من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة ". لا يستبعد تحسينه ولكن ليس صريحا في قراءة الفاتحة وهو محمول على القراءة بعد الفاتحة جمعا بين الأدلة (صح)
- ٢٤. الحديثان الواردان بلفظ: وإذا قرأ فأنصتوا دلا فقط على الإنصات عند قراءة الإمام ماسوى الفاتحة أو القراءة في وقت سكوته جمعا بين النصوص (صح)
- معنى آمين : اللهم استجب لنا. وقيل : معناه لا تخيب رجاءنا . وقال الأكثرون :
 معناه كذلك فليكن . (خطأ)
- ٢٦. يصح أن يقول القائل يا آمين ارحمني على قول من يقول آمين اسم من أسماء الله تعالى . (خطأ)
- ٢٧. قوله إذا قال ولا الضالين فقولوا آمين لا يعني أنه لا يؤمن بل هو حث على أن يكون توقيت التأمين لهم موافقا لتأمين الإمام (صح)
 - ٢٨. الصحيح الجهر بالتأمين لثبوت الأحاديث به. (صح)
 - ٢٩. من الأمور التي حسدنا عليها اليهود التأمين خلف الإمام (صح)
- .٣٠. حديث تأمين هارون خلف دعاء موسى عليهما السلام يصح الاستدلال به على عدم قراءة المأموم في الصلاة الجهرية . (خطأ)